

وفاء النيل

في هذا اليوم الذي كان فيه قدماء المصريين يقدمون لك فتاة من
أجمل فتياتهم ، ويلبسونها أجمل الأثوابِ وأثمن الحلى ، ويأتون بها الى
وسط مياهك الهادئة ويطرحونها ضحية في أمواجك اللطيفة ، نأتي نحن
ايضاً أبناء القرن العشرين بتقدماتنا وضحايانا

كنت الهاً عظيماً ، لانك كجميع آلهة البشر قوةٌ عجيبةٌ من قوى
الكون ومظهر غريب من مظاهر الارض . فحسبك الهاً كسائر آلهتهم
التي يعبدونها تحب النعمة وترتاح الى سفك الدماء وتصبو الى الذبائح
والضحايا ، لذلك كانوا يزفون اليك كل عام فتاة فتاة لتكون لك عروساً
أيها الاله وابن الآلهة . . .

هذا الوحش الضاري السفاح الذي يشرب الدماء والاثم كالماء الذي
نسميه انساناً قد صنعك انت ايضاً كسائر الآلهة على صورته ومثاله . . .
على نفحات العود والقيثارة والمزمار ، وبين اناشيد الغناء وضجيج
الاستحسان كانوا يأتون اليك بأميرةٍ من اميراتهم في ربيع صباها وريعان
جمالها يترقق الحسن في وجنتيها ويتألق الجمال في خديها ، ولا يخشون
أن يطرحوها في احشائك أنت يا اله الرحمة والصلاح !

*
*
*

كنت الهاً عظيماً ، ولا تزال الهاً فخياً بيدك الخير والشقاء ، وبين
شفتيك الموت والحياة ، تضرب وتشفي ، وتميت وتحي

لبثت الوفاً من السنين محجياً بحجب الاسرار ومستتراً بستر الألفاظ ،
فاقتفى البشر آثارك في البيد والقفار ، وتتبعوا مسيرك في الصحارى والرمال ،
وناجوك كما ناجوا كل اله سواك ليعلموا من أنت وما انت وهم يحسبون
الآن انهم قد كشفوا سرّك واوضحوا أمرّك - أيخترقون احشاء الارض؟
أيشقون الاطواد الراسيات بعضها بجانب بعض؟ انهم لمقصرون عن ذلك
تقصيراً ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

تسير في عقيقتك الفخيم العجيب ، كما تسير الآلهة في طرقها ، لا
تلتفت يمنة ولا يسرة - تضحك من ابناء آدم وعلومهم وافراحهم واتراحهم
وبخارهم وكهربائيتهم كما يضحك منهم « جوبتير » من نوافذ « أولبس »
الانسان ابن امس أما انت فكائن منذ الازل وستبقى الى الابد ؛
عبدوك لان لك نفعاً يرجى وضراً يخشى كسواك من الآلهة الاخرى
عبدناك وقد عبدنا قبلك الفلك الدائر ، والنجم السائر ، والهواء
والسحاب ، والجو والضباب ، والشموس والاقار ، والاحراج والاشجار ،
والطيور في اوكارها ، والاسماك في بحارها والوحوش في اوجارها
عبدنا من قبلك الخنافس والثيران ، والجبل والبركان والهوام
والحشرات ، والاصلال والحيات ، وكل ما سبج في الهواء ، وغاص في
الماء ، ودب على الغبراء ،

ولما لم تبقى مادة في هذا الكون الذي لا تحيط به العقول ، وليس
الى معرفة كنهه من وصول خلقنا من الوهم اكوناً جديدة وقوى عديدة
واتخذناها الهاً ومعبوداً ، نخر لها ركماً وسجوداً .

عبدنا آلهة نصفها بشر ونصفها انسان ومخلوقات رأسها اله
وجسمها حيوان

ولما لم تكفينا كل هذه الآلهة وهي الكون بأسره والوهم بجملته عبدنا
الردائل والارواح ، والشياطين والاشباح ، وعقدنا مخالقات مع ابالسة
جهنم لنقوى بها على سلطة الاله الاحد والفرد الصمد
فلماذا لا نعبدك انت أيضاً أيها النيل السائر وسطنا بجلال يسحر
العقول ، وسر يدعو الى الخيرة والذهول ، الجاري امامنا في منسبط الغبراء ،
كما تجري الآلهة في منسبط السماء والحجرة في عقيق الفضاء

*
* *

بيدانا قد انتقلنا الآن من عبادة الاوثان ، ووجدنا الآلهة والاديان
وجعلنا الهنا الاحد ديناراً ، واتخذناه لديننا شعاراً ، هذا النقد ذو الوجهين
نظيرنا هو الهنا ومعبودنا ، نتبارى الى مسجده ، ونتجارى الى معبده
ولكن أليست مياهلك انت يا اله الخير والصلاح ومصدر الحياة
والفلاح هي التي حولت نضرة مصر نضاراً ، وتربتها تبرا ؛ أليست أنت
الذي خلق هذا الاله الذي تعبده أمم الارض طراً وتعفر وجهها امامه
ليلاً ونهاراً ، فانت انت اذاً اله الآلهة !

*
* *

في قلبك اسرار مصر وفي احشائك الغاز كهنتها المنافقين ، وسجرتها
المشعوذين ، وفيك حديث ملوكها وغرائب اهرامها ، وعجائب هياكلها ،
وفنون بنائها وضروب رسومها وسر موميائها

دفن في جوفك مجد مصر المؤئل وشرفها الباذخ ومدنيتها القديمة التي
وقف العالم أمامها مدهوشاً والتي تحجج إليها عظماء الارض وامراؤها وملوكها
لتشاهد آثارها فلا ترى الا اطلالاً دارسة وانقاضاً متردمة وهياكل ينعب
البوم في خرائبها ومدافن تحوم الغربان حول مواضعها ، يحدق العالم فيها
ويستنطق آثارها ويستفسر اسرارها ويجلو عن وجهها الصبوح حجب
الخفاء والابهام ، فلا تنطق بحرف ولا تبوح بكلمة بل تنظر اليه شاخصة
شخوص ابي الهول في الفضاء واصنام الالهة في الصحراء !

من يقدر في العالم ان يزيج اللثام عن محيا الالهة « ايزيس » التي
هي رمز الطبيعة وقد نُقش على تمثالها ابلغ ما نقشته يدُ على حجر . « انا هو
ما كان وما هو كائن وما سيكون وليس لبشر ان يحسر لثام الابهام
عن محياي ! »



في أحشائك اسرار هذا الكائن العجيب الذي نسميه بشراً والذي
توارت اخباره طي الخفاء والكتمان . ألم تبسم يا اله مصر يوم مست يدُ
الانسان الاول مياهاك المقدسة . هلا فقت حينئذ ان هذا الوحش الغريب
الذي نفتش الآن عن حلقة المفقودة سوف يصير الهك نظيرك ؟

شاد على ضفافك عروشاً باذخة ودولاً كبيرة ومدائن غناء ، وبنى
لنفسه صرحاً من المجد كان معجزة الاولين واعجوبة الآخرين ، ثم ضاقت
احشاؤك بمجده فجر جيوشه وجحافلُه واجتاح الارض براً وبحراً ودوخ
الممالك شرقاً وغرباً ، ودوى العالم بحديث جرأته وتجاوب الجو بصدى

انتصاراته وبسط ظل مجده على أقاليم المعمور ونقش اسمه في صفيحة الكون بين أسماء الآلهة بجانب اسمك لأنه ابنك وثمره احشائك

*
*
*

بيدانه اله فان كجميع مصنوعاته اما انت يا من هو صنع الالهة « ايزيس » فانك شطر منها كنت وكائن وستكون وليس لبشر ان يزيح لثام الابهام عن محياك

تكونت من مياه الارض التي تنعقد سحاباً في الجو وتنزل دموعاً كاللؤلؤ على قنن الجبال ، وتتفجر بحاراً في جوف الارض تجري الى اليم من حيث ولدت

انك منذ الازل وسوف تبقى الى الابد وليس لملك انقضاء - سيأتي زمن ينقطع فيه صفير البخار الذي يهز أمواجك ، وتنطفى شموس الكهربائية التي تير وجهك ، وتندك هذه البنائات الشاخنة القائمة على ضفافك ، وتصمت آلات الطرب وانشيد الغناء على شواطئك ، وينقرض هذا الاله الصغير الذي يطاول مجدك مع اهرامه وهياكله وبواخره وآلاته ومدنه . ومدنيته ليست هي الا الاعيب صبيانية تزول كما يزول اللاعبون بها وتبقى انت وحدك جارياً في طريقك الابدية ، كما تجري الآلهة في السماء والحجرة في عقيق الفضاء

*
*
*

تعود حينئذ الى جمالك الطبيعي الذي ورثته من « ايزيس » يوم ولدتك منذ بدء العالم تجري وسط هذا السكون الابدي بمد ان تكون قد

قطعت هذا السد الصبياني الذي وضعه الانسان حاجزاً في طريقك ، كما
يقطع الجبار خيطاً من القنب يشده طفلاً الى ذراعيه

تجري بسكون وصمت ، وتسير بجمال وجلال ، كما انت سائر الآن
غير مبالٍ بهذا الاله الصغير الذي يجهل سر الآلهة - لا تنبت على ضفافك
شجرة معرفة الخير والشر ثلاً يأكل منها ويحيا الى الابد فيملاً بلادك
هياكل وآلهة وجوك لغطاً وصخباً وشواطئك إثماً وفجوراً كما هو فاعل الآن
تجري حينئذٍ بسكون وصمت ، وتسير بجمال وجلال ، لانك جميل
وكل ما حولك جميل من سهول منبسطة وجبال راسية واشجار باسقة
وزهور باسمة - تنظر السماء اليك وتنظر اليها وهي كأنها رقعة من زمرد
مرصعة بالماس ، تتلألأ دراريها وتتألق انوارها

اذا كانت شجرة معرفة الخير والشر موجودة الآن على ضفافك
فاجرفها الى قلب البحر واعماق الاوقيانس لان هذا الاله الصغير الساحر
الذي هو بجانبك ، اذا صار الهاً خالداً ، أفسد الارض والجو وشوش نظام
ايزيس واستأثر بالقوة والسلطان واقلق راحته وراحة الاكوان

*
*
*

ذهب هذا الاله الصغير امس الى ضفافك ليعبدك كما كانت تعبدك
اجدادك وجاء بالسفينة التي كانت اسلافه تضع فيها عروسك لتقدمها
ضحية لك لانه حسبك كنفسه تحب الانتقام وتصبو الى الضحايا
جاء اليك على نغمات العود والقيثارة والمزمار واصوات الغناء وانشيد
السرور كما كان يجي ، قديماً منذ الوف من السنين . واذا كان لم يأت بفتاة

يقدمها ضحية لك فذلك ليس لانه قد عرفك الان الهاً تحب الخير
وتصبو الى الصلاح بل لانه قد اصبح اشد حبا لذاته واكثر استئثاراً من
ذي قبل فحفظ الفتاة لنفسه - انه غبي جاهل ولا يزال يصنع الهة اخرى
على صورته ومثاله !

هذا وفاؤك ايها النيل فسر في طريقك الابدية وسبيلك الخالد كما
تسير الآلهة في السماء والمجرة في عقيق الفضاء
الركن شور سعادته
وهذا نصُّ الحجة التي تكتب سنوياً في الاحتفال بوفاء النيل بحضور فضيلة
مفتي الديار المصرية والعلماء والاعيان :

في ليلة كذا الموافق كذا سنة كذا قبطية في المجلس المنعقد
بالصيوان المنصوب برأس الخليج الحاكم بمصر المحروسة لدى
بمحضر كل من وحضرات الاساتذة وحضرات
من اعيان مصر وغيرهم من الفضلاء والوجوه قد تحقق وفاء النيل المبارك
بأن بلغ في يوم كذا المرقوم السابق لهذه الليلة كذا ذراعاً وكذا
قيراطاً من الذراع المعتاد بمقياس الروضة في القاهرة . وذلك من فيض
الله واحسانه وتكريمه ، ورأفة بعباده ، وقد اشترحت بذلك الصدور
وطلب الجميع من المولى الغفور ان يجعل النفع به عاماً ، ويديم السرور .
وقد وجب الخراج على ارباب الاطيات واداء الاموال والمرتببات لجهة
الخزينة العامرة حكم المعتاد ، والحمد لله على منته ، والمرجو من فيض فضله
ان يجرينا على عوائده واحسانه ، انه ولي ذلك والقادر عليه ، وفي يده
مقادير كل شيء وكل شيء راجع اليه

والنخل كالغدير الحسان تزينت ولبسن من أعمارهن قلايدا
ظافر الحداد



النخل على النيل

وللنخيل منظرٌ مهيبٌ ترأعُ في جماله القلوبُ
فوق الضفافِ ظلُّها رهيبٌ صفًا بصفٍ زانها الترتيبُ
من كل جبارٍ عظيمِ القدرِ
تحسبها مرّدةً طوالاً تحت مظلاتٍ زهتِ جمالا
في النيلِ جاءت تبغى اغتسالا سحرها النيلُ فلن توالا
واقفةً هنا بفعلِ السحرِ لباسِ فياضِ

١ - الجزيرة

جزيرة مصر لا عدتكَ مسرةً ولا زالت اللذاتُ فيك اتصالها
فكم فيك من شمسٍ على غصنٍ قامهٍ يميتُ ويحيي هجرهما ووصالها

شاعر عربي

٢ - ليالي الجزيرة

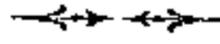
انا في الحبِّ صاحبُ المعجزاتِ جئتُ للعاشقينَ بالآياتِ
كان اهلُ الغرامِ قبلي أميةً بينَ حتى تلقنوا كلماتي
فانا اليومَ صاحبُ الوقتِ حقاً والمحبونَ شيعتي ودُعائي
ضربت فيهم طبولي وسارت خافقاتِ عليهم راياتي . . .
فعلى العاشقينَ مني سلامٌ جاءَ مثل السلامِ في الصلواتِ
يمشق الغصنَ ذا الرشاقةِ قلبي ويحبُّ الغزالَ ذا اللفاتِ
ياحيبي وانتَ ايُّ حبيبٍ لا قضى اللهُ بيننا بشتاتِ
ان يوماً تراك عيني فيه ذاك يومٌ مضاعفُ البركاتِ
انت روجي وقد تملكك روجي وحياتي وقد سلبتَ حياتي
متُّ شوقاً فأحيني بوصولِ أُخبرِ الناسَ كيفَ طعمُ الماتِ

*
*
*

فرعى الله عهدَ مصرٍ وحياتاً ما مضى لي بمصرَ من اوقاتِ
حبذا النيلُ والمراكبُ فيه مصعداتِ بنا ومنحدراتِ
هاتِ زدتني من الحديثِ عن النيلِ ودعني من دجلةٍ وفراتِ
وليالي « بالجزيرة » و« الجيزة » فيما اشتبهتُ من لذاتي

بين روضِ حكي ظهور الطواويسِ وجوِّ حكي بطونَ البُزاقِ
 حيثُ مجرى «الخليج» كالحية الرقـطاء بين الرياضِ والجنانِ
 ونديمٍ كما نحبُّ ظريفٍ وعلى كلِّ ما نُحبُّ مواتي
 كل شيءٍ اردتهُ فهو فيه حسن الذاتِ كامل الادواتِ
 يا زماني الذي مضى يا زماني لك مني تواترُ الزفراتِ

بهاء الدين زهير

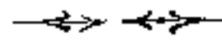


محطة مصر

لما انشئت محطة القاهرة الكبرى اقترحت الحكومة المصرية على الشعراء نظم
 ابيات ترسم على جدران المحطة ، وجعلت جائزةً للذي يحرز قصب السبق ، فقال
 الافضالية فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحداد ، واليك الايات التي يراها
 المسافر منقوشة على باب المحطة :

يا حسن عصرٍ بعباسِ العلي ابتسما
 طرائق في ضواحي القطرِ تبلغنا
 مصرٌ كصفحةٍ قرطاسٍ ترتبها
 ارضٌ بها كان خصب النيلِ منتثرًا
 لنا غنى عن قطار السحبِ منسجمًا
 يجري بها الرزقُ في جسم البلادِ كما
 محطةٌ هي قلبٌ والخطوطُ بدت
 مع السلامةِ يا من سارَ مرتحلًا
 حتى الحديدُ غدا ثغراً له وفما
 اقصى البلادِ ولم نتقلُ بها قدما
 غدا القطارُ عليها الخطَّ والقلم
 حتى اتاها قطار النارِ فانتظما
 ولا غنى عن قطار النارِ مضطربا
 يجري دمٌ في عروق الجسمِ منتظما
 مثل الشرايين فيها والقطارُ دما
 عنا واهلاً وسهلاً بالذي قدما

نجيب الحدرار



الازبكية

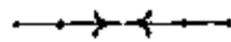
كما وصفها المرحوم الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر المتوفى سنة ١٢٥٠هـ .
 واما بركة الازبكية فهي مسكنُ الامراء ، وموطنُ الرؤساء ، قد
 احدثت بها البساتينُ الوارفةُ الظلال ، المدينةُ المثل ، قترى الخضرة في
 خلال تلك القصور المبيضة ، كشياب سندس خضر على اثوابٍ من فضة ،
 يُوقد بها كثير من السرجِ والشموع ، فالانسُ بها غيرُ مقطوعٍ ولا ممنوع ،
 وجمالها يُدخلُ على القلب السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة
 مخمور ، ولطالما مضت لي بالمسرة فيها ايامٌ وليالي ، هنَّ في سطرِ الايامِ
 من يديم اللآلي ، وانا انظرُ الى انطباع صورة البدر في وجنتها ، وفيضان
 لجين نوره على حافاتِها وساحاتها ، والنسيم بأذيال ثوب مائها الفضي لعاب ،

وقد سلّ على حافاتها من تلاعب الامواج كل قرضاب ، وقامت على منابر
أدواحها ، في ساحة افراحها ، مغردات الطيور ، وجالبات السرور ، ولذيذ
العيش بها موصول ، وفيها اقول :

بالأزبكية طابت لي مسراتُ
حيثُ المياهُ بها والفلكُ سابحةُ
وقد أُديرَ بها دورٌ مشيدةُ
مدّت عليها الروابي خضرَ سندسِها
والماء حين سرى رطب النسيم به
كسابغات دروع فوقها نقطُ
مراتعُ لظباء التركِ ساحتها
وللنديمِ بها عيشٌ تجدّدهُ
يروحُ منها صريع العقل حين يرى
وللرفاقِ بها جمعٌ ومفترقُ

ولذّ لي من بديع الانس اوقاتُ
كانها الزهرُ تحويها السماواتُ
كانها لبدورِ الحسنِ هالاتُ
وغرّدت في نواحيها حماماتُ
وحلّ فيه من الادواح زهراتُ
من فضةٍ واحمرار الورد طعناتُ
وللاسودِ بها فيهنّ غيضاتُ
ايدي الزمانِ ولا تخشى جنائياتُ
على محاسنها دارت زجاجاتُ
لما غدت وهي للندمان حازاتُ

الشيخ حسن العطار



الاوربا

وقرب حديقة الازبكية قامت الاوربا الخديوية ، أنشأها المغفور له الخديوي
اسماعيل باشا وأول رواية مُثّلت فيها رواية « عائدة » لفردي الشهير
وقد حضرتها الامبراطورة اوجيني قرينة نابليون الثالث :



الاوربا

✦ وصف مصر ✦

في منتصف القرن الغابر زار مصر الكاتب الشهير فارس الشدياق وكتب عنها فصاين ضافين نشرهما في كتابه « الساق على الساق في ما هو الفاريانق » المطبوع في باريس سنة ١٨٥٥ م و ١٢٧٠ هـ على نفقة المرحوم رافائيل كحلا الدمشقي . وعنهما نلخص ما يأتي . وسيري القاري ان اكثر هذه الملاحظات لا يزال منطبقاً على ايامنا هذه . قال :

مصر بلد الخير ، ومعدن الفضل والكرم ، اهلها ذوو لطفٍ وادبٍ واحسان الى الغريب ، وفي كلامهم من الرقة ما يُغني الحزين عن التطريب . اذا حيوك فقد احيوك ، وان سلموا عليك فقد سلموك . وان زاروك زادوك شوقاً الى رؤيتهم ، وان زرتهم فسحوا لك صدورهم فضلاً عن مجالسهم . اما علماءؤها فان مدحهم قد انتشر في الآفاق ، وفات فخر من سواهم وفاق ،

من لين الجانب ورقة الطبع وخفض الجناح وبشاشة الوجه. ما لا يمكن المبالغة في اطرائه... وكان حسن الخلق ورقة الطبع امرٌ مركز في جميع اهل مصر، فان لعامتهم ايضاً مخالفة ومجاملة. وكلمهم فصيح اللهجة بين الكلام سريع الجواب، حلو المفاكحة والمطارحة. وكلمهم يُحبُّ السماع واللغو، وغناؤهم اشجى ما يكون، فلا يمكن لمن الفه ان يطرب بغيره، وكذلك آلتهم فانها تكاد تنطق عن المازف بهـا. ولهم في ضرب العود طرقٌ وفنون تكاد تكون من المغيبات، غير اني اذم من غنائهم شيئاً واحداً، وهو تكرير لفظة واحدة من بيت او موال مراراً متعددة حتى تفقد السامع لذة معنى الكلام. ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن. وبالعكس ذلك طريقة اهل تونس فان غنائهم اشبه بالترتيل، وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب في الاندلس...

اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت في الذروة العليا من الابهة والعز والفخر والكرم والمجد، فكان للمتسمين بخدمتها مرتب عظيم من المال والكسب والشحن مما لم يُعهد في دولة غيرها...

ومع عظم ما كان يكسبه التجار واصحاب الحرف، وما يناله اهل الوظائف من الرزق العميم كانت الاسعار في مصر رخيصة جداً. فلماذا كنت ترى الناس قصر بهم وعميهم مقبلين على الشغل واللغو معاً. فالبساتين غاصة باهل الخلاعة والقصوف، ومحال القهوة مجمع الاحباب، والاعراس مسموع فيها الغناء وآلات الطرب من كل طرف. والرجال يخطرون بانخز والديباج، والنساء ينوين بما عليهن من الحلي، والتحليل

والبغال والحمير مسرجة ومكسوة بالحرير المزركش . . .
والغريبُ يجدُ في مصر ملهى وسكناً ، وينسى عندها اهلاً
ووطناً . . . ومن خواصها ان اسواقها لا تشبه رجالها البتة . فان لاهلها
لطافةً وظرافةً ، وادباً وكياسةً ، وشمائل مرضيةً ، واخلاقاً زكيةً . واسواقها
عارية عن ذلك راساً

ومن خواصها ايضاً ان البرنيطةَ فيها تنعى وتعظم ، وتغلظ وتضخم ،
وتتسع وتطول ، وتعرض وتعمق . . . وكثيراً ما كنتُ اتعجبُ من
ذلك واقول : كيف انى هواء مصر هذه البرنيطة وقد طالما كانت في
بلادها لا تساوي قارورة الفراش . ولا توازن ناقورة الفراش . وكيف
كانت هناك كالترب ، فاصبحت هنا كالنهر . . . يا هواء مصر يا نارها
يا ماءها يا ترابها صيرى طربوشي هذا برنيطةً ، وان يكن احسن منها عند
الله والناس فلم يغن عني النداء شيئاً وبقي رأسي مطربشاً ، وطرف
دهري مطرفشاً

ومن خصائصها ايضاً ان البغاث بها يستنسر والذباب يستصقر ،
والناقة تستبعر ، والجحش يستمهر ، والهر يستنمر ، بشرط ان تكون هذه
الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة

فارسى الشربان

